

مدينة قونية

(باهضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

فصل من رحلات الدكتور عبدالوهاب عزام التي تطبع الآن
في مطبعة الرسالة نشره بمناسبة ذكرى انتصار الجيش المصري
في قونية على الجيش التركي .

- ١ -

من أسكيشهر الى قونية

أضيت يوم الأحد في أسكيشهر ثم ركبت قطار المساء
والساعة ست مئة قونية ؛ وكانت زيارة قونية منية في النفس
حاولتها حينما سافرت إلى استانبول من قبل خلال دونها بُمد
الشقة ؛ وبينها وبين استانبول أكثر من عشرين ساعة بالقطار .
وكنت حينئذ أهاب اختراق الأناضول ، فلما اخترقته في هذه
الفترة وأنست بالسفر فيه عزمتم على الرجوع إلى الشام
من الطريق الذي أتيت منه ؛ وكانت قونية أحب بلادها إلى
وكانت نفسي على رؤيتها أحرص . وإنما أربي من قونية زيارة
مولانا جلال الدين

الطوائف في الموضوع وذلك سر تفوقه « فهذه كلمة الحق وأما ما تلاها
من لؤاذع فهو ظلم

وزيد أن زرجح أن المقالات التي كتبها الأستاذ أحمد أمين
في الثقافة بعنوان (جنابة الأدب الجاهلي على الأدب العربي)
هي التي حملت الدكتور مبارك على أن يسمى قلة توفيق الأستاذ
أحمد أمين في مباحثه هذه (جنابة على الأدب العربي) . ونحن
لا نقول عن هذه التسمية إنها (جنابة) على أحمد أمين بل نسبها
(تجنيباً على أحمد أمين) . ولعل الدكتور يبدل عنوان هذه السلسلة
بتنوان آخر يستحسنته ، فإنه إن لم يفعل ذلك من باب الإنصاف
والرقة في النقد فليقلعه من باب الكياسة ، كيلا يمتنع أحمد أمين ،
من حيث لا يشاء ، زعامة قوية في الأدب العربي ، فإن من يستطيع
بمقال أو بمقالين أن يجني على الأدب العربي لا بد أن يكون زعيماً
من زعمائه إن لم يكن كبير زعمائه .

ميمم الجسر

« طرابلس الشام »

كان مني في القطار شاب من قونية معه زوجه تحدثني عن
الترك وتمسكهم بدينهم وما فعلوا في الحرب ، وكيف توغل اليونان
في الأناضول حتى قدفهم أبطال الترك في البحر . وقال : إنهم قاربوا
قونية ولكن مولانا جلال الدين ردمهم عنها . قلت في نفسي : هذه كلمة
ظاهرها خرافة وباطنها حق ؛ فإن ما يبثه جلال الدين في النفوس
من قوة وإيمان وجهاد وحرية جدير أن يرد كل عدو عن حماه

- ٢ -

بلغ القطار قونية والساعة ست ونصف من الصباح فضيت
إلى فندق اسمه فندق سلجوق فاسترحت بمقدار ما حال التعب الشديد
بيني وبين مشاهدة المآهد التي طال اشتياقي إليها . ثم خرجت إلى
المكتبة « ملت كتيبخانة سي » فألقيت نظرة على فهارس المكتبة
ولا سيما العربية منها فلم أجدها فيها من نفائس الكتب أو غرائبها
ما يستوقف الباحث . وأرسل معنا قيم المكتبة رجلاً من الموكنين
بالآثار فذهب بنا إلى حيث يدفعنا الشوق ويدعونا الحب إلى البقعة
التي ترسل الشعر والحكمة والتصوف في آفاق الإسلام منذ ستة
قرون ، إلى المزار الذي استبدل به صاحبه قلوب العارفين :

فلا تظلمن في الأرض قبري فإنما صدور الرجال العارفين مزارى
إلى الذكرى المظيمة التي لا تزال تدوى في القلوب تقى
وشعراً ، وفي العقول حكمة وإيماناً ، وفي الأذان موسيقى وغناء ؛
إلى النبوغ الذي مزج الحكمة والتصوف والشعر في أحسن
تقويم ؛ إلى الرجل الذي أنبت بلخ وظفرت به قونية ولكن لم يسع
قلبه وعقله مكان ؛ إلى الحكيم البكري الذي لا تحده الأنساب
والأوطان ؛ إلى صاحب المثنوى والديوان مولانا جلال الدين
الرومي الذي تنسب إليه الطائفة المولوية المعروفة في مصر
والأقطار الإسلامية ، وقد اشتهرت بحالسهم في السماع ، يجتمعون
على نظام خاص ويدورون بترتيب محكم على نغمات الناي وإنشاد
المثنوى ؛ والناي عند المولوية رمز إلى الحنين الدائم إلى العالم الروحي
وقد بدأ مولانا جلال الدين كتاب المثنوى بنشيد الناي وأوله :

استمع للنأي غنى وحكى شفه الين طويلاً فشكا
مذ نأي الناب - وكان الوطن - ملأ الناس أنيني شجنا
من تشرده النوى عن أصله بيتنغى الرجى لغنى وصله
أين قلب من فراق مُزَقَا كي أبث الوجد فيه حُرَقَا
كل نادٍ قد رآني نادياً كل قوم تحذوني صاحبنا

المولوية : « يا حضرت مولانا » ويفضي الباب إلى حجرة فيها آثار للمولوية فيها كتب ونسخ من المثنوي هي أقدم نسخة وأنفسها، ثم باب آخر يفضي إلى قبور المولوية والمصلي ودار السماع (سماخانة) : إلى اليمين رواق عليه قبة ويفصله سياج وستر تمنع الناس أن يدخلوا إليه أو يروا ما فيه إلا أطلال ضريحين كبيرين أحدهما لجلال الدين والآخر لأبيه بهاء الدين ويبدو ضريح الأب من وراء السياج مستظيلاً رأسياً فيقول العامة :

لقد قام بهاء الدين في قبره إجلالاً لابنه

وفي وسط البناء رواق بناه السلطان الفايح ، وإلى اليسار مصلي ودار للسماع من آثار السلطان سليمان القانوني

وفي البناء من عجائب الخط والنقش والتذهيب والكتب والبسط ما يبهر الناظر ، وفيه من ملابس مولانا وآثاره وآثار بنيته

رأيت أربع فلانس قيل إن إحداها قلنسوة مولانا ، وأخرى لابنه سلطان ولد ، والثالثة لشمس الدين التبريزي ، والرابعة لحسام الدين جلبي من كبار أصحاب جلال الدين

ورأيت ثلاثة مصاحف كتبت في أواخر القرن التاسع فيها ترجمة تركية ومصحف سلجوق بين سطوره ترجمة فارسية ونسخا من شروح المثنوي ، ونسخة من الفتوحات يقال إنها بخط الشيخ الأكبر

ورأيت سجادة عليها صورة الكعبة قيل إنها كانت لأم جلال الدين مؤمنة خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وسجادة أخرى يقال إن السلطان علاء الدين السلجوق أهداها لجلال الدين يوم عرسه ، عليها الآية : « أقم الصلاة لذورك الشمس » ... الخ

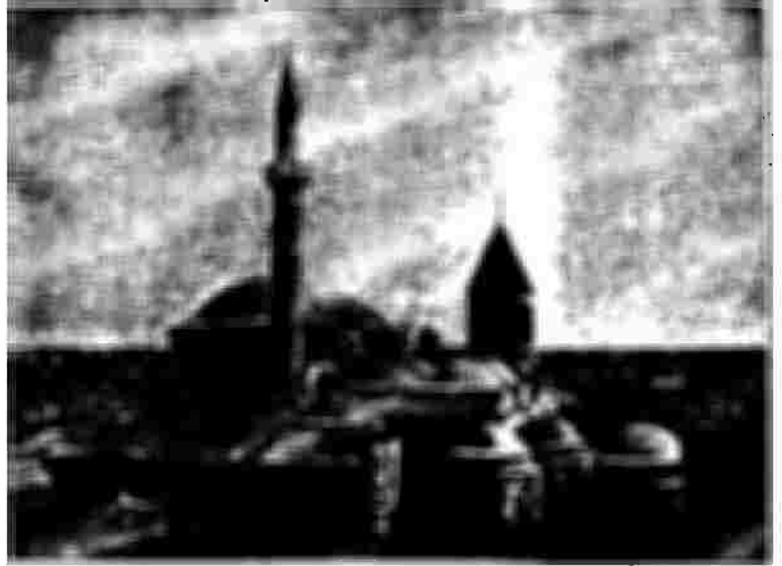
وقناديل صنعت في مصر ... الخ الخ

أطفنا بجوانب المسكين نستمتع إلى الدليل ، ولذكري في نفوسنا صوت أبين من صوته وأصدق وأجل ، ولكني أستعيد بالله من قول القائل :

يك طواف مرقد سلطان مولانا ما

هفت هزار و هفتصد و هفت و حجاً كبرست

ظن كلُّ أنني نعم تسمير ليس يدرى أي سر في الضمير
إن سرى في أنبى قد صبر غير أن الأذن كالت والبصر
إن صوت الناي نار لا هو كل من لم يصلها فهو هباء
هي نار المشق في الناي تور وهي نار المشق في الخمر تقور. الخ
وكان للمولوية في تركيا شأن عظيم وكان رئيسهم (جلبي قونية) يقلد سلاطين المومنين السيف حين يتولون الملك



دار للمولوية في قونية

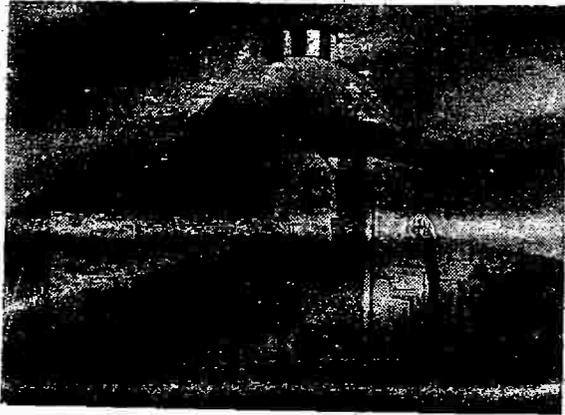
وكذلك كان لهم أثر عظيم في الأدب ، وحسبك من شعرائهم الشيخ غالب
هذه دار المولوي ولكن لا أرى الوقود متراجمة على بابها ، ولا أرى الدار أهلة بزائرها ، قد أقر الندي ، وخلا السامر ، وعدت الدار من الآثار ، يدخل إليها بالمال الصالحون والفجار
يلقى الداخل سور يتوسطه باب عتيق فوقه ظلة وعليه ثلاثة أليات بالتركية تدل على أن السلطان مراد خان بن سليم خان بنى هذه الخانقاه سنة ٩٩٢ هـ . ومراد هذا هو مراد الثالث ابن سليم الثاني ابن سليمان القانوني (٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ) فإذا ولج رأى فناء ينتهي إلى الشمال بمحجرات كانت مساكن المولوية وبجالسهم ومطابيحهم وماوى ضيوفهم . وإلى اليمين حجرة رقيقة اتخذت الآن مكتبة . وأمام الداخل بناء كبير تعلوه في الجهة اليمنى قبة خضراء مخروطية تحلق فوق قبر جلال الدين ، وفي الجهة اليسرى مأذنة وقبتان كبيرتان ، ويدخل إلى البناء من باب جميل نصقح تعلوه كتابة فيها هذا الشمار الذي يرى على كثير من أبنية

- ٣ -

ورأينا من آثار قونية مسجد علاء الدين وقصره وهما من
أعظم آثار السلاجقة هناك ؛ يقومان على ربوة في المدينة تسمى
ربوة علاء الدين (علاء الدين تبه سي)

ورأينا على مقربة من الربوة مدرسة قره داي وزير السلطان
علاء الدين ولا يزال فيها من عجائب الصنعة ، ولا سيما الكاشاني
ما يتخلدها على رغم الزمان الذي ذهب برونقها وكثير من نقوشها
وعلى باب المدرسة آيات وأحاديث وكلمات عربية منها : رب
أوزعني أن أشكر نعمتك . إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
ما نوى . الصالح رباح . المرء شؤم . الحزم سوء الظن . الولد
مجنونة مبخلة

وفي المدرسة بهو عليه قبة ، وإيوان وحجر قليلة كانت
للطلاب ، وحجرة فيها ضريح صاحبها



مدرسة قره داي في قونية

وزرنا مدرسة خربة تسمى صرجه لي مدرسة بنيت سنة ٦٤٠هـ
ومدرسة صغيرة لحفظ القرآن كتب على بابها :

أنشأ هذه البقعة في أيام دولة السلطان محمد بن علاء الدين
خلد الله مملكته صاحب الخيرات والحسنات محمد بن الحاج خالصك
الخطيبي أعلى الله شأنه وجعلها دار الحفاضة أربع وعشرين وعثماناً
وهذا تاريخ محرف فيما أظن فقد انتهت دولة السلاجقة قبل
هذا التاريخ . والظاهر أن البناء شيد سنة أربع وعشرين وستة
في عهد علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ - ٦٣٤) إلا أن
يكون السلطان المذكور هنا من سلاطين بني قرمان الذين خلفوا
السلاجقة في قونية

عبد الوهاب هزائم

(البقية في السدد القادم)

«طوفة بمرقد مولانا سبعة آلاف وسبعمائة وسبعون حجاً أكبر»
ثم خرجت وفي النفس حنين إلى البقاء وعزم على العودة :
خرجت أمشي بقول قلبي للرجل بالله أنظريني



الباب الداخلي لمزار جلال الدين

وعدت في اليوم التالي فلتقت أمين الدار وكنت واعدته
اللقاء لا اشتراء بعض الصور ، فقلت : أريد تجديد العهد بالزار
فدخل معي يطوف في أرجائه ويصف ما يرى ويروي من التاريخ .
وخرجت ولم أقض حاجات الفؤاد من رؤية ما وراء السياج .
ونعوذ بالله من الحجاب ؛ إن شر ما يليق الصوفي أن تسدل الحجب
دون آماله ويحال بينه وبين مقصوده . خرجت كارهاً أتناقل
لأمضي مع الرجل إلى داره فيمرض عليّ ماسور من آثار قونية .
قال : أنت أستاذ ؟ قلت : نعم . قال : انتظر ، ثم أشار إلى
فتبتمته فرجع إلى المزار وتلفت ثم أشار إليّ وفتح باب السياج
فتبتمته . قال : نحن نمنع العامة من الدخول ونمكن الأساتذة
الباحثين من رؤية ما يشاءون . فنكرت له وصرت إلى ضريح
جلال الدين بين قبور كثيرة لشيوخ المولوية من أولاده . وقفت
وقفة أناجي الروح العظيم وأستلهم حكيمته وعظيمته ؛ ثم خرجت
وفي النفس ما فيها من جلال الذكري وثورة الشوق